٨

الآثار التربوية للعقيدة الإسلامية في تربية عالم واحد

أولًا: الآثار التربوية للعقيدة الإسلامية

ثانيًا: العقيدة الإسلامية وتنمية الإيمان بالوحدة الإنسانية

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثامن
الآثار التربوية للعقيدة الإسلامية
فى تربية عالم واحد

مقدمة:

على ضوء ما جاء بالفصول السابقة – من الفصل الثانى إلى الفصل السابع – يمكن استخلاص العديد من الآثار التربوية للعقيدة الإسلامية، التى يمكن الإفادة منها ليس فقط فى تربية الفرد أو الأفراد، بل وفى تربية عالم واحد. تلك الآثار التى يمكن ذكر بعضها فى محورين على النحو التالى:

- الآثار التربوية للعقيدة الإسلامية.
- العقيدة الإسلامية وتنمية الإيمان بالوحدة الإنسانية.

أولاً: الآثار التربوية للعقيدة الإسلامية:

(أولًا) العقيدة الإسلامية تربى الإنسان على الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ...﴾(النساء:١٣٦).

obeikandl.com

ولـشهادته لذاتـه بالوحدانيـة، حيـث قـال: ﴿شَـهِدَ اللهُ أَنَّـهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ...﴾(آل عمران:١٨). فهو واحد فى ألوهيته، وواحد فى ربوبيته. وهـو منبع التربية ومصدرها الأول.

ولتلك العقيدة (عقيدة التوحيد) آثارها التربوية، حيث تربية جميـع البشر على أنهم عبيد لإله واحد، مما يدعم فيهم الاتجـاه نحـو المـساواة والشراكة والتعاون والاتحـاد، والعـيش فى عـالم واحـد فى محبـة وتـآخٍ وتكافل.

ويقتضى تحقيق ذلك الأثر التربوى والحـصول عـلى تلـك الثمـرة، تأديب الأبناء وتعليمهم منذ طفولتهم مـا يلـزم للإيـمان بـالله الواحـد الأحد سبحانه وتعالى بالأدلة النقليـة والأدلـة العقليـة والتـدرج مـع الطفل فى ذلك بما يناسب سنه ونموه.

(ثانيًا) العقيدة الإسلامية تربى الإنسان على الإيمان بالملائكة، لقوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِـن رَّبِّـهِ وَالْمُؤْمِنُـونَ كُـلٌّ آمَـنَ بِـاللهِّ وَمَلآئِكَتِهِ...﴾(البقرة:٢٨٥)، والإيمان بما يؤدونـه مـن أعـمال طـائعين لله ولا يعصونه ما أمرهم، وبما يقومون به من تـسجيلٍ لأعـمال الإنـسان ليحاسب عليها يوم القيامة.

ولتلك العقيدة آثارها التربوية، حيث يرتدع الإنسان عـن اقـتراف السيئات، ويحرص على فعل الخيرات. فيعم بذلك فعل الخير بين البشر

واجتناب الشر، ولا يستغل الإنسان أخيه الإنسان، بل ويسعى جاهدًا لتقديم يد العون والمساعدة له لينال الثواب يوم يقوم الحساب.

ويقتضى تحقيق ذلك الأثر التربوى والحصول على تلك الثمرة، تعليم الأبناء ما يلزم للإيمان بالملائكة وبحقيقة وجودهم، وبأعمالهم، وما إلى ذلك.

(ثالثًا) العقيدة الإسلامية تربى الإنسان على الإيمان بالكتب السماوية، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِى أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا بَعِيدًا﴾(النساء:١٣٦). وهذه الآية توجب الإيمان بكتب الله تعالى بصفة عامة، وبالقرآن الكريم بصفة خاصة، لأنه مصدق لتلك الكتب، ومهيمن وشهيد عليها، ولأنه آخرها فهو ناسخ لها.

ولتلك العقيدة آثارها التربوية، حيث الاحترام والتقدير لكل الكتب والديانات من جهة، وحيث التفاف القلوب حول الكتاب الأخير منها من جهة أخرى. وبالتالى تتوحد القلوب والاتجاهات نحو مرسل هذه الكتب سبحانه وتعالى (الواحد الأحد)، وكتابه المنزل لكل البشر (القرآن الكريم) ليعيشوا جميعًا (أمة واحدة) متحابين متآخين.

ويقتضى تحقيق ذلك الأثر التربوى والحصول على تلك الثمرة،

تعليم الأبناء ما يلزم للإيمان بالكتب السماوية عامة، وبالقرآن الكريم خاتم الكتب السماوية والمهيمن عليها خاصة، وذلك بالأدلة النقلية والأدلة العقلية، المؤكدة لصدقه وصدق الرسالة، التى جاءت هداية ونورًا لكل العالمين.

(رابعًا) العقيدة الإسلامية تربى الإنسان على الإيمان بالرسل كل الرسل، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (البقرة:٢٨٥).

ولتلك العقيدة آثارها التربوية، لأنها تضع أساسًا للتعارف والإخاء بين شعوب الأرض. لأن الناس متى آمنوا بجميع المرسلين سهل تفاهمهم على ما عسى أن يبقى بينهم من الخلاف"[١٨٠].

ويقتضى تحقيق ذلك الأثر التربوى والحصول على تلك الثمرة، تعليم الأبناء منذ الصغر ما يلزم للإيمان برسل الله عامة، وتعليمهم قصص الأنبياء ومحبتهم عامة، وبخاتمهم محمدﷺ خاصة. وذلك بالأدلة النقلية والأدلة العقلية التى تزيدهم يقينًا بصدقه وصدق رسالته، وتعليمهم محبة رسول اللهﷺ رسول الإنسانية، وغرسها فى نفوسهم، وتعليمهم سيرته العطرة وحديثه الشريف، وكذا تعليمهم سيرة صحابته ومحبتهم ومحبة رواة حديثه الشريف.

(خامسًا) العقيدة الإسلامية تربى الإنسان على الإيمان باليوم الآخر، لقوله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾(البقرة:١٧٧).

ولتلك العقيدة آثارها التربوية فى استقامة الفرد وصلاحه، و"فعل الخيرات وترك المنكرات، بما يوجد فى النفس من الرغبة فيما عند الله من خيرى الدنيا والآخرة، وبما يوجد لها من الخوف من عذاب الله والرهبة من عقابه"(١٨١). ولذلك آثاره التربوية العالمية، "فلو أن الناس جميعًا قد استقرت فيهم هذه العقيدة وآمنوا بها إيمانًا لا يخامره شك، لاستقامت أمورهم وكثر فيهم الخير والإحسان، وقل بينهم الشر والفساد"(١٨٢). واختفت بينهم الحروب والصراعات، واحتفى استغلال الإنسان لأخيه الإنسان واستعباده، وعم التعاون على البر والتقوى بين الشعوب.

ويقتضى تحقيق ذلك الأثر التربوى والحصول على تلك الثمرة، تعليم الأبناء ما يلزم للإيمان باليوم الآخر، وما يتبعه من حياة بعد الموت فى القبر وما فيها من نعيم أو عذاب، وما يتبعه من بعث وحساب وميزان وصراط وجنة بنعيمها أو نار بعذابها.

(سادسًا) العقيدة الإسلامية تربى الإنسان على الإيمان بالقضاء

والقدر، لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾(غافر:٦٨). وقول رسوله الكريم: (وتؤمن بالقدر خيره وشره)[١٨٣]، ذلك الإيمان الذى لا يعنى التواكل بل التوكل والأخذ بالأسباب.

ولتلك العقيدة آثارها التربوية، حيث طلب الأشياء من أسبابها والجرى إليها فى سُنتها، والبحث فى نظام الكائنات وتعرف سنن الله فى مخلوقاته، فيتم بذلك الكشف والابتكار وحل المشكلات، ويعم الخير الجميع. كما أن "الاعتقاد بالقدر يتبعه خلق الشجاعة والبسالة والجود والسخاء. فالذى يعتقد بأن الأجل محدود والرزق مكفول والأمور بيد الله يصرفها كما يشاء، كيف يرهب الموت فى الدفاع عن حقه وإعلاء كلمة أمته وملته، وكيف يخشى الفقر حين ينفق من ماله فى تعزيز الحق وفعل الخير حسب الأوامر الإلهية"[١٨٤]. فيتم بذلك حماية الحق ومناصرته وتقديم الخير للآخرين. وما أحوج البشرية إلى من يدافع عن الحق وينصره ويبذل الخير ويعين الآخرين عليه.

كما يربى الإيمان بالقدر القناعة وعدم طمع الإنسان فى أموال أخيه الإنسان، أو طمع دولة فى ثروات دولة. فتترك الدول الحروب والاستعمار بعضها لبعض، وتلجأ إلى التعاون والتكامل وتبادل المصالح والمنافع.

ويقتضى تحقيق ذلك الأثر التربوى والحصول على تلك الثمرة،

تعليم الأبناء ما يلزم للإيمان بالقضاء والقدر، بالأدلة النقلية والأدلة العقلية، مع الأخذ بالأسباب فى كل الأمور، ثم التوكل على الله، والرضا بقضائه سبحانه وتعالى الذى وسعت رحمته كل شىء.

(سابعًا) العقيدة الإسلامية تربى الإنسان على السمو الروحى والتعلق بالله والاتصال الدائم به، فتأتى أفعال الإنسان خالصة لوجه الله، وفى الاتجاه الذى يرضيه سبحانه. فلا يظلم الإنسان أخيه الإنسان ولا يستغله، بل يحرص على فعل الخير معه، سواء كانت الأخوة أخوة بالنسب فى الأسرة والعائلة...، أو أخوة اجتماعية فى مجتمع الجوار وفى المجتمع ككل، أو أخوة إنسانية على الصعيد العالمى.

(ثامنًا) العقيدة الإسلامية تمنح صاحبها طاقة نفسية هائلة وإرادة قوية، لما تمتلئ به نفسه من الرجاء فى الله، والثقة به والتوكل عليه، والرضا بقضائه والصبر على بلائه والاستغناء عن خلقه، فتجعله راسخًا كالجبل، قوى الإرادة، لا تضعفه الأهوال ولا تخذله المحن[١٨٥]... وهكذا يربى الإيمان النفس على الهدوء والاستقرار النفسى، ويحقق الأمن والطمأنينة والسعادة والراحة النفسية الحقة، قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِّ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِّ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(الرعد:٢٨). وفى ذلك تهيئة لتعامل الإنسان مع أخيه الإنسان فى جو سليم ملئ بالأمن والطمأنينة، بعيد عن التوترات والعقد النفسية، وبعيد عن الحروب والصراعات، وفى جو يساعد على

التحاب والتآخى، ومن ثم التعاون على تحقيق السعادة والرفاهية للجميع.

(تاسعًا) العقيدة الإسلامية تحقق الوعى الفكرى والنمو العقلى، من خلال إعمال العقل وتحريره من الخرافات والأوهام. فالإيمان يدعو الإنسان إلى النظر فى الكون، ويدعو العقل إلى التفكر فى كل ما يحويه هذا الكون، والتبصر والتدبر فى عظيم صنع الله وجزيل نعمه. مما يؤدى إلى عمارة الأرض، وحسن استغلالها، والانتفاع بكل ما فى الكون وتسخيره لخدمة الإنسان وصالحه. ويؤدى إلى التغلب على مشكلات الحياة التى تواجه البشرية، فتتحقق بذلك الحضارة الإنسانية الخيرة.

(عاشرًا) العقيدة الإسلامية تربى الضمير الأخلاقى. إذ من "أكبر مقومات الضمير هو الاعتقاد بإله قادر، يحاسب على الكبائر والصغائر، مطلع على ما تكنه السرائر"[١٨٦]. ذلك الضمير الذى يضبط تصرفات صاحبه وأفعاله، ويوجهها نحو الخير والصلاح، لا لخير نفسه فحسب، وإنما لخير مجتمعه وأمته، ولخير البشرية جميعًا.

(حادى عشر) العقيدة الإسلامية بكل أركانها، أساس لتحقيق الترابط والتماسك الاجتماعى، "وأساس لإثبات الأخوة الإنسانية والمساواة البشرية. وذلك لأن الأخوة والمساواة لا تتحققان فى حياة

الناس إذا كان بعضهم أربابًا لبعض أو أستعبد بعضهم بعضًا. أما إذا كانوا كلهم عباد الله فهذا هو أصل المساواة والإخاء بين الناس"[١٨٧].

ثانيًا: العقيدة الإسلامية وتنمية الإيمان بالوحدة الإنسانية:

وهكذا، فهذه العقيدة تؤكد أن الجميع عبيد (لإله واحد) لا شريك له ولا ولد، (وشريعته) التى أنزلها فى (كتابه الكريم) وأرادها للحكم بين الناس واحدة. ونظرة التقدير والاحترام والإيمان (بكل الرسل) واحدة: ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾(البقرة:٢٨٥). و(الغاية) من خلق البشر جميعًا واحدة، وهى عبادة الله وطاعته وإسلام الأمر كله له وحده. و(مصيرهم) جميعًا واحد، وهو الموت والفناء ثم البعث والمثول بين يدى إله واحد يحاسب كلا بعمله ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(الزلزلة:٧-٨).

فالعقيدة الإسلامية، بكل أركانها، تنمى لدى المسلم الإيمان بالوحدة الإنسانية، مما يفرض عليه ألا يجعل للاختلاف بين الناس فى عقائدهم أو ألوانهم أو لغاتهم أو أوطانهم أثرًا فى التعامل والالتزام الخلقى نحوهم. فهو يسلك مع الجميع- مسلمين وغير مسلمين- سلوكًا واحدًا لحمته وسداه التعاليم الإسلامية التى سوت بين البشر. فلا طبقية ولا طائفية ولا عنصرية". ومن ثم تفرض هذه العقيدة أن يتعامل المسلم مع غيره من أهل الملل الأخرى، على نحو تعامله مع أخيه المسلم. لأنه "إن فرق بين الناس لأمر ما فى السلوك والأخلاق لم

يكن مسلمًا كاملًا فى إسلامه، ولم يكن إلتزامه الخلقى فى موقف دون موقف إلا انعكاسًا لوهن العقيدة... التى تهيمن على المشاعر والضمائر فى كل أحوالها وعلاقاتها مع الإنسان كإنسان"[١٨٨].

وفى كل ذلك دعوة للمساواة ونبذ التعالى ورفض التفرقة العنصرية، ودعوة ليعيش الجميع فى عالم واحد متحابين متآخين، لا فرق بينهم. فلا فضل لأبيض على أسود، ولا لعربى على أعجمى، ولا لشعب على شعب، إلا بالتقوى والعمل الصالح.

obeikandl.com

هوامش الفصل الثامن

(١٨٠) عفيف عبدالفتاح طبارة: مرجع سابق، ص١٤٧.

(١٨١) أبو بكر جابر الجزائرى: **عقيدة المؤمن**، مرجع سابق، ص٢٧٦.

(١٨٢) عفيف عبدالفتاح طبارة: مرجع سابق، ص١٢٠.

(١٨٣) رواه مسلم (٨).

(١٨٤) عفيف عبدالفتاح طبارة: مرجع سابق، ص١٥١، ١٥٥.

(١٨٥) سعيد إسماعيل على: **القرآن الكريم رؤية تربوية**، مرجع سابق، ص٤٢.

(١٨٦) عفيف عبدالفتاح طبارة: مرجع سابق، ص١٧٣.

(١٨٧) سعيد إسماعيل على: **القرآن الكريم رؤية تربوية**، مرجع سابق، ص٤٢.

(١٨٨) محمد الدسوقى: مرجع سابق، ص٦٦.